القبلة

وأثرها في إبراز

وسطية الأمة الإسلامية

بين اليهود والنصارى

دراسة علمية

الكاتب

سمر على محمد عياب

القبلة وأثرها في إبراز وسطية الأمة الإسلامية بين اليهود والنصارى

دراسة علمية

إعداد الباحث

سمير علي محمد غياث

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أبرز خصائص الشريعة الإسلامية: صفة الوسطية، وهي السمة التي جعلها الله تعالى علامة فارقة لهذه الأمة؛ كما قال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣] وهذه الوسطية ليست مجرد موقف تلفيقي، بل هي الحق والعدل والهدى الواقع بين طرفي الغلو والجفاء، والتقدم والتأخر في سائر أبواب الدين، ومنها مسألة: القِبلة.

فتُعد مسألة "القبلة" مِن النماذج التطبيقية الكبرى لوسطية أهل الإسلام بين الملل السابقة – خاصة اليهود والنصارى–؛ حيث انحرف أولئك عن القبلة الصحيحة، وهدى الله تعالى هذه الأمة لقبلة الأنبياء جميعاً وهي الكعبة المشرفة.

وهذا البحث يهدف إلى بيان المسائل التي توسط فيها أهل الإسلام بين أهل الملل في مسألة القبلة، وإبرازها والاستدلال لها، حسب الخطة التالية:

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى القبلة لغة وشرعًا.

المطلب الثاني: معنى الوسطية لغة وشرعًا.

المبحث الأول: وسطية المسلمين في ذات (جهة القبلة)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: موقف أهل الإسلام (الوسط).

المطلب الثالث: الاتباع وترك الابتداع (أصل التوسط في التحديد):

المبحث الثاني: التوسط في (حجية النسخ) والتدرج في القبلة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إنكار اليهود للنسخ.

المطلب الثاني: غلو النصارى في التبديل.

المطلب الثالث: موقف أهل الإسلام (الوسط).

المبحث الثالث: التوسط في (تعظيم بقعة القبلة) بين الغلو والجفاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: غلو اليهود والنصارى في الأماكن.

المطلب الثاني: موقف أهل الإسلام (الوسط).

خاتمة.

التمهيد، وفيه: معنى القبلة:

القبلة لغة: "الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها؛ كالجلسة، وسميت قبلة؛ لإقبال الناس عليها"[1].

القبلة شرعًا: "هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تُستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، وكما يوجَّه المحتضر والمدفون، ولذلك سميت وِجْهة"[2].

ثانيًا: معنى الوسطية لغة وشرعًا.

الوسَط، بِالتَّحْرِيكِ، اسْمٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيِ الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ كَقَوْلِكَ قَبَضْت وسَط الحَبْل وَكَسَرْتُ وسَط الرُّمْحِ وَجَلَسْتُ وسَط الدَّارِ، وأَوسط الشَّيْءَ: أَفضله وَخِيَارُهُ كوسَط الْمَرْعَى خيرٌ مِنْ طَرَفَيْهِ، وكوسَط الدَّابَّةِ لِلرُّكُوبِ خَيْرٌ مِنْ طَرَفَيْهَا لِتَمَكُّنِ الرَّاكِبِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: ((خِيارُ الأُمور أَوْساطُها))، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: ١١] أَي: عَلَى شَكّ، فَهُوَ عَلَى طرَف مِنْ دِينه غيرُ مُتوسّط فِيهِ وَلَا مُتمكِّن، فَلَمَّا كَانَ وسَطُ الشَّيْءِ أَفضلَه وأَعْدَلَه جَازَ أَن يَقَعَ صِفَةً، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: {وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} أَي: عَدْلًا، فَهَذَا تَفْسِيرُ الوسَط وَحَقِيقَةُ مَعْنَاهُ، وأَنه اسْمٌ لِمَا بينَ طَرَفَي الشَّيْءِ وَهُوَ مِنْهُ[3].

---

(١) مسلك الراغب لشرح دليل الطالب، إبراهيم العوفي (ص١٩٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٩٢).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٤٢٧) نقلاً عن الشَّيْخُ أَبو مُحَمَّدِ بْنُ بَرِّيٍّ رحمه الله.

و"الاستعمال الشرعي للوسطية لا يخرج عن معناها اللغوي؛ إذ بينهما ارتباط وثيق، والأخذ بالوسط معناه: الأخذ بما شرع الله من غير إفراط ولا تفريط"(٤).

(٤) الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة دراسة عقدية، رسالة دكتوراه، أحمد علي الزاملي (ص٩٠ بترقيم الشاملة آليا).

المبحث الأول: وسطية المسلمين في ذات (جهة القبلة):

انقسمت الملل السابقة في اختيار جهة القبلة إلى طرفين متباعدين، وهدى الله المسلمين للوسط الذي يجمع فضائل الجهات ويرتبط بأصل التوحيد.

المطلب الأول: موقف اليهود والنصارى:

أولاً اليهود:

اتخذوا مغرب الشمس (بيت المَقْدِس) قِبلة لهم، وتحديداً نحو صخرة بيت المقدس؛ غلوًا في هذا المكان وتعلُّقاً به.

روى الطبري بسنده إلى "عكرمة والحسن البصريِّ قالا: أوَّلُ ما نُسِخ من القرآنِ القبلةُ[٥]، وذلك أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يستقبِلُ صخرةَ بيتِ المقدسِ، وهي قبلةُ اليهودِ، فاستقبلَها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم سبعةَ عشرَ شهرًا؛ ليؤْمِنوا به ويتَّبعوه، ويَدعُو بذلك الأمِّيين من العربِ، فقال اللهُ: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥]"[٦].

ثانياً النصارى:

اتخذوا مطلع الشمس (المشرق) قِبلة لهم؛ بناءً على تعليلات واهية؛ كظهور النور من المشرق، أو تأويلاً لبعض النصوص لديهم دون مستند شرعي صحيح من الأنبياء.

---

(٥) قال القرطبي: "وأجمع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن". تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥١).

(٦) تفسير الطبري (٢/ ٦٢٢) ط: التركي.

قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [البقرة: ١٧٧] قال الشوكاني: "قوله: {قِبَل المشرق والمغرب} قيل: أشار سبحانه بذكر المشرق إلى قبلة النصارى؛ لأنهم يستقبلون مطلِع الشمس، وأشار بذِكر المغرب إلى قِبلة اليهود؛ لأنهم يستقبلون بيت المقدس وهو في جهة الغرب منهم إذ ذاك"(٧).

المطلب الثاني: موقف أهل الإسلام (الوسط):

توسط المسلمون بين المشرق والمغرب، فوفَّقهم الله تعالى وأمرهم بالاتجاه نحو الكعبة المشرفة، وهي قِبلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(٨)، كما أسند ابن أبي حاتم إلى السُّدِّيِّ أنه قال في قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة: ١٤٦]: "يعرِفون الكعبةَ أنها هي قبلةُ الأنبياءِ، كما يعرِفون أبناءَهم"(٩).

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((وَعَلَيْكَ))، قَالَتْ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((وَعَلَيْكَ))، قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بَلِ السَّامُ عَلَيْكُمْ وَغَضَبُ اللهِ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحَيُّونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ بِهِ اللهُ؟! قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ((مَهْ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، قَالُوا قَوْلًا فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَضُرَّنَا شَيْئًا، وَلَزِمَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُمْ لَا

(٧) فتح القدير، للشوكاني (١/ ١٩٩).

(٨) على أحد قولي العلماء، وقيل: بيت المقدس. انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (٢/ ٤٨٤).

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٥).

يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ))[١٠].

والكعبة كذلك تقع في وسط المعمورة، "فهي سُرة الأرض ووسط الدنيا وأمّ القرى"[١١]، وهي تجمع بين الرمزية الجغرافية والتعبدية المحضة.

يقول ابن القيم –رحمه الله– عن قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]: "ثم أخبر سبحانه أنه كما جعل لهم أوسط الجهات قِبلةً بتعبدهم فكذلك جعلهم أمَّةً وسطًا؛ فاختار القبلةَ الوسط في الجهات للأمة الوسط في الأمم، ثم ذكر أن هذا التفضيل والاختصاص ليَستشهدهم على الأمم فيَقبل شهادتهم على الخلائق يوم القيامة"[١٢].

وقال النسفي –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}: "... وقيل: سُمُّوا وسطًا؛ لأنَّ قبلةَ النَّصارى إلى المشرق، وقبلةَ اليهود إلى المغرب، والكعبةُ في الوسط، وهي سرَّةُ الدُّنيا"[١٣].

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية: "ولقد لاحظنا عندما رسمنا دائرةً مركزها مدينة مكة المكرمة، وحدودها خارج القارات الأرضية السبع؛ أن محيط هذه الدائرة يكاد يدور مع حدود القارات الخارجية، وذلك يعني أن موقع مدينة مكة المكرمة هو مركز الأرض

---

(١٠) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٥٠٢٩)، وصححه محققوه، وقال الهيثمي: "قُلْتُ: فِي الصَّحِيحِ بَعْضُهُ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ شَيْخُ أَحْمَدَ وَقَدْ تُكُلِّمَ فِيهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْغَلَطِ وَالْخَطَأِ، قَالَ أَحْمَدُ: أَمَّا أَنَا فَأُحَدِّثُ عَنْهُ، وَحَدَّثْنَا عَنْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/ ١٥).

(١١) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني (ص١١٤)، وانظر: تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥٣)، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم – حسن عبد الفتاح أحمد (ص٨٥).

(١٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٩).

(١٣) التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي (٢/ ٤٩٥).

اليابسة على سطح الكرة الأرضية، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]، وصدق الله العظيم: {وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢]"[١٤].

المطلب الثالث: الاتباع وترك الابتداع (أصل التوسط في التحديد):

حينما أمر الله تعالى نبيَّه محمداً -عليه الصلاة والسلام- باستقبال بيت المقدس أوَّلَ الإسلام؛ انقاد لذلك، وانقاد معه المسلمون سمعًا وطاعة، رغم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يحب أن يوجِّهه الله تعالى للكعبة، وكان يقلِّب وجهه في السماء ويرجو ذلك، لكنه كان منقادًا لأمر الله طائعًا مستسلمًا، ثم بعد مدة[١٥] أمرَ الله تعالى نبيَّه والمسلمين بالتوجه نحو الكعبة وترك التوجه لبيت المقدس؛ فانقادوا سامعين مطيعين.

بينما اليهود والنصارى ابتدعوا في أمر القبلة وغيروا وحرفوا، قال ابن القيم رحمه الله: "استقبال أهل الكتاب لقبلتهم لم يكن من جهة الوحي والتوقيف من الله، بل كان عن مشورة منهم واجتهاد، أما النصارى فلا ريب أن الله لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال المشرق أبدًا، وهم مقرُّون بذلك، ومقرُّون أن قِبلة المسيح كانت قبلة بني إسرائيل، وهي الصخرة، وإنما وضع لهم شيوخهم وأسلافهم هذه القبلة، وهم يعتذرون عنهم بأن المسيح فوَّض إليهم التحليل والتحريم وشرع الأحكام، وأن ما حلَّلوه وحرَّموه فقد حلَّله هو وحرَّمه في السماء، فهم مع اليهود متفقون على أن الله لم يشرع استقبال المشرق على لسان رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك، وأما قِبلة اليهود فليس

---

(١٤) مجلة البحوث الإسلامية (٢/ ٣١٥).

(١٥) "وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور". فتح الباري، لابن حجر (١/ ٩٧ ط السلفية).

في التوراة الأمر باستقبال الصخرة ألبتَّةَ، وإنما كانوا ينصِبون التابوت[١٦] ويصلُّون إليه من حيث خرجوا، فإذا قدِموا نصَبوه على الصخرة وصلُّوا إليه، فلما رُفع صلَّوا إلى موضعه وهو الصخرة"[١٧].

ولذا روى الطبري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إني لأعلمُ خلْقِ اللهِ لأيِّ شيءٍ اتخذتِ النَّصارى المشرق قِبلةً؛ لقولِ الله: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} [مريم: ١٦] فاتَّخذوا ميلادَ عيسى قبلةً"[١٨].

وقال ابن تيمية: "{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ} [البقرة: ١٤٣] قال: أي: إذا حُوِّلت، والمعنى: أن الكعبة هي القبلة التي كان في علمنا أن نجعلها قبلتكم؛ فإن الكعبة ومسجدها وحرمها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق، وقبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء، ولم يأمر اللّه قط أحداً أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما"[١٩].

وجاء في حاشية الجمل: "وَكَانَتْ الْكَعْبَةُ قِبْلَةَ آبَائِهِ صلى الله عليه وسلم؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا يُصَلُّونَ إلَيْهَا فَكَانَ يَسْتَقْبِلُهَا وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: (إنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ) الْمُرَادُ بِهِ مَأْوَاهُمْ لَا قِبْلَتُهُمْ"[٢٠].

---

(١٦) التَّابُوت: هو الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧٩).

(١٧) بدائع الفوائد – ط عطاءات العلم (٤/ ١٦٠٥).

(١٨) تفسير الطبري (١٥/ ٤٨٤).

(١٩) أولياء الرحمن عند ابن تيمية (ص: ٢١٥).

(٢٠) حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (١/ ٣١٣).

المبحث الثاني: التوسط في (حجية النسخ) والتدرج في القبلة:

لم تكن القبلة ثابتة منذ بدء الإسلام، بل جاء تحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة؛ ليظهر حقيقةُ الانقياد للوحي، ولما كان هذا التحويل (النسخ) موقفاً فاصلاً بين الملل تبيَّن به تميز أهل الإسلام بالوسطية في تقبُّل أحكام الله تعالى.

المطلب الأول: إنكار اليهود للنسخ، وغلو النصارى في التبديل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كلامه عن النصارى: "ولهذا تجد نقلَ العلماء لمقالاتهم وشرائعهم تختلف، وعامّته صحيح؛ وذلك أن القوم يزعمون أن ما وضعه رؤساء دينهم من الأحبار والرهبان مِن الدِّين، فقد لزمهم حكمُه، وصار شرعًا شرعه المسيح في السماء، فهم في كل مدة ينسخون أشياء، ويشرّعون أشياء من الإيجابات والتحريمات، وتأليف الاعتقادات، وغير ذلك، مخالفًا لما كانوا عليه قبل ذلك؛ زعمًا منهم أن هذا بمنزلة نسخ الله شريعةً بشريعة أخرى، فهم واليهود في هذا الباب وغيره على طرفي نقيض: اليهود تمنع أن ينسخ الله الشرائع، أو يبعث رسولاً بشريعة تخالف ما قبلها، كما أخبر الله عنهم بقوله: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} [البقرة: ١٤٢] والنصارى تجيز لأحبارهم ورهبانهم شرعَ الشرائع ونسخها، فلذلك لا ينضبط للنصارى شريعة تُحكى مستمرة على الأزمان"(٢١).

المطلب الثاني: موقف أهل الإسلام (الوسط).

أما المسلمون فكان موقفهم وسطاً كذلك في أمر النسخ، "فإن اليهود قالوا: ليس لرب العالمين أن يأمر ثانيًا بخلاف ما أمر به أوَّلًا، والنصارى جوَّزوا لرؤوسهم أن يغيروا شريعة

(٢١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥٣٣).

المسيح؛ فيُحلِّلوا ما شاءوا ويحرِّموا ما شاؤوا، والمسلمون قالوا: رب العالمين يأمر بما يشاء، له الخلق والأمر، وليس لأحدٍ من الخلق أن يغيِّر دينَه ولا يبدِّل شَرعه، ولكن هو يُحدِث مِن أمره ما يشاء؛ فيَنسخ ما يشاء ويُثبت ما يشاء"(٢٢).

(٢٢) الصفدية، لابن تيمية (٢/ ٣١٢).

المبحث الثالث: التوسط في (تعظيم بقعة القبلة) (بين الغلو والجفاء)

وقع أهل الكتاب في انحراف مسلكي وعقدي تجاه البقعة التي يستقبلونها، بينما انضبط المسلمون بالتوحيد الخالص.

المطلب الأول: غلوّ اليهود والنصارى في الأماكن:

أولاً: غلو اليهود:

من مظاهر غلو اليهود في قبلتهم ما يلي[٢٣]:

١) تقديس المكان بعد أن لم يكن مقدَّسًا.

٢) اعتقادهم القداسة الذاتية للمكان.

٣) تحول القبلة إلى محط حلول إلهي.

٤) الوساطة الكهنوتية؛ بحيث لا يدخل مكان القبلة إلا نخبة من الكهنة والحاخامات.

٥) ربط القبلة بالعرق والاستيطان.

٦) غياب السلطة الدينية المركزية في اليهودية جعل مسألة القبلة عرضة لاجتهادات مضاربة، فمنهم من يغلو في تقديسها، ومنهم من يغلو في تحريم ذلك.

ثانياً: غلو النصارى:

ومن مظاهر غلو النصارى في قبلتهم:

١) مخالفة ما كان عليه نبيهم المسيح عليه السلام في أمر القبلة.

---

(٢٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. للمسيري (٥/ ٢١٦ وما بعدها).

٢) الغلو في طاعة أحبارهم ورهبانهم حتى لو خالفوا نبيهم في اختراع قبلة جديدة للصلاة.

٣) اعتقادهم أن الرب الإله غرس جنة في عدن شرقًا[٢٤].

٤) تعظيمهم للشرق؛ لأنه مطلع الكواكب النيرة[٢٥].

المطلب الثاني: موقف أهل الإسلام (الوسط) من قبلتهم:

استقبل المسلمون الكعبة لأنها أمرُ الله، لا لأن الأحجار بذاتها تنفع أو تضر؛ فالتعظيم لرب البَنيَّة لا للبَنيَّة ذاتها، ولم يرفعوا قدرها فوق ما رفعه الله ورسوله، فاستقبال الكعبة في الصلوات، والطواف بها عند الحج والعمرة أو غيرهما؛ شعارٌ للمسلمين وعلامة فارقة بينهم وبين الكفار، وليس تعظيم الكعبة بالصلاة إليها أو الطواف بها لأنها تحل بها ذاتُ الله -تعالى عن ذلك-، بل لأن الله جعلها مَثابة للناس وأمناً، وابتلاهم بطاعته بالتوجه إليها ليتميز الطائع من العاصي، وبذلك سلِمُوا مِن وثنيةِ الغلو، ومِن جَفاء ترك الشعائر.

لذا صح عن عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّهُ جاءَ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ، فقالَ: (إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ)[٢٦].

"قال الطبري: إنما قال ذلك عمر -والله أعلم- لأن الناس كانوا حديث عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد عمر أن يُعلِم أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله تعالى والوقوف عند أمر نبيه -عليه الصلاة والسلام-، إذ ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها، وأن استلامه

---

(٢٤) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (١٢/ ١٦٣).

(٢٥) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٨٧) ط: التركي.

(٢٦) متفق عليه: البخاري برقم(١٥٩٧)، ومسلم برقم ٢٥٠ - (١٢٧٠).

مخالف لفعل أهل الجاهلية في عبادتهم الأصنام؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبّه عمر على مجانبة هذا الاعتقاد، وأنه لا ينبغي أن يُعبَد إلا من يملك الضر والنفع، وهو الله تعالى"[٢٧].

(٢٧) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٢٧٨).

خاتمة

بعد هذا العرض والتوثيق، يمكن تلخيص أهم نتائج البحث في النقاط التالية:

١. الوسطية الشاملة: إن وسطية الأمة الإسلامية في القبلة هي جزء من وسطيتها العامة في العقيدة والتشريع، وهي وسطية تجمع بين جودة الجهة الجغرافية وصحة المعنى التعبدي.

٢. بطلان انحرافات أهل الكتاب: ثبت بالدليل الشرعي والتاريخي أن اليهود والنصارى انحرفوا يمنة ويسرة (مشرقاً ومغرباً) بآرائهم وأهوائهم، بينما لزم المسلمون الصراط المستقيم باستقبال كعبة إبراهيم عليه السلام.

٣. التعبد المحض: تميز المسلمون عن أهل الملل بأن استقبالهم للقبلة مبني على محض الامتثال للأمر الإلهي، مع الحذر التام من الغلو في الأحجار أو الأماكن على طريقة الوثنيين أو المبتدعة من أهل الكتاب.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.